إنجازات الحركة النسوية العالمية من منظور النوع الاجتماعي
– مقاربة مفاهيمية تأصيلية –

د. يوسف بن يزة
قسم العلوم السياسية – جامعة باتنة

ملخـــص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور الحركة النسوية في تطور منظور النوع الاجتماعي ضمن الدراسات السياسية باعتبارها مجموعة من الحركات والأيديولوجيات تهدف إلى الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمرأة.

وتحاول إحياء الجدل حول مكانة قضايا المرأة في العلوم السياسية والتحول الذي شهده نحو دراسة مكانة علم السياسة في اهتمامات الحركة النسوية، وتستهدف بشكل خاص تأثير بعض فروع النسوية في الميول السياسية للمجتمع .

وخلصت الدراسة إلى استنتاج مفاده أن البحوث النسوية جعلت من الأدوار الاجتماعية لكلا الجنسين مفهوما مركزيا في دراسة الأوضاع الهيكلية والثقافية والتاريخية التي تسبب فروقات بين المرأة والرجل، وتنشأ علاقات قوة بينهما.

Abstract

This study aims to analyzing the role of feminism in the progress of gender approach in political science as a collection of movements and ideologies aimed at defining, establishing, and defending equal political, economic, and social rights for women.

the study try to put in argue the transformation from women question in political science to the science question in feminism. It particularly target closely the influence of some branches of feminism in the political leanings of society.

It results that feminist scholarship takes the social construction of gender as a central concept examining the structural, cultural and historical conditions that create distinction and perpetuate power relations between women and men.

مقدمة

تحظى الدراسات النسوية باهتمام متزايد من طرف الجماعة العلمية، مع تزايد تأثير التيارات المختلفة المنبثقة عن النسوية العالمية المتأصلة في تاريخ النضال من أجل الحقوق السياسية والاجتماعية للمرأة، وبالموازاة مع ذلك اتجه عدد كبير من الباحثين إلى التخصص في هذا المجال إلى درجة محاولة الاستقلال عن علم السياسة، حيث فتحت عدد من الجامعات الغربية أقساما متخصصة في دراسات الجندر والدراسات النسوية خاصة.

وتعد النسوية مجموعة متنوعة من النظريات الاجتماعية، والحركات السياسية، والفلسفات الأخلاقية، التي تحركها دوافع متعلقة بقضايا المرأة، حيث يتفق النسويون والنسويات على أن الهدف النهائي هو القضاء على أشكال القهر المتصل بالنوع البيولوجي، ما يجعلنا نطرح التساؤل المعرفي التالي: **ماهي إنجازات الحركة النسوية العالمية فيما يتصل بتكريس منظور النوع الاجتماعي نظريا وتطبيقيا؟**

تطرح هذه الدراسة فرضية مؤداها أن إنجازات هذه الحركة لا تعدو أن تكون سوى واحدة من تجليات المجهود العلمي المبذول لمأسستها وتوظيفها لتحقيق التقدم في مجال حقوق الإنسان.

تستعين الدراسة بأدوات المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء الخطوات التي حققتها الحركة النسوية العالمية من لحظة تأسيسها إلى يومنا هذا، كما تسترشد بالمنهج التاريخي لسرد الأحداث الكبرى التي أسست لنضوج التجربة النضالية للنسويات، وتوظف مقاربة النوع الاجتماعي في معرض تقييم هذه الإنجازات وأثر ذلك على رقي المرأة في مختلف المجالات.

تقسم الدراسة إلى ثلاث أقسام رئيسية يتناول الأول تعريف الحركة النسوية ونشأتها وتطورها، بينما يتناول الثاني النظريات التقليدية والحديثة التي أسست لبروز النسوية كحقل معرفي قائم بذاته، في حين يتناول القسم الثالث مقاربة النوع الاجتماعي من حيث التعريف والأثر الذي أحدثته فيما يتصل بتحول نظرة المجتمع للمرأة، بالإضافة إلى الأدوار المختلفة التي أسندتها هذه المقاربة للمرأة.

أولا- الحركة النسوية: التعريف، النشأة والتطور

شهد القرن التاسع عشر نشاطا نسويا حثيثا في إنجلترا وبعض البلدان الأوروبية، لكنه لم يرق إلى أن يوصف بالنزعة النسوية حيث "لا يزال الجدل دائرا حول ما إذا كان من باب الدقة إطلاق وصف النسوي أصلا على الجهود التي بذلتها المرأة من أجل أن تحظى بمعاملة

أفضل من جانب الرجل في تلك المرحلة المبكرة، وقد شهد القرن العشرون تنوعا هائلا في الصيغ التي يتجسد فيها الفكر النسوي والكتابة والحركات النسوية"[1].

وتعددت تعريفات هذه الحركة واختلفت إلا أن هناك من يعرفها بالطريقة التالية: هي وضع حدود للعدالة على أساس، النوع الاجتماعي، العرق، السن، الجنس، الحالة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، والدينية، والكثير من الحدود الأخرى غير المذكورة[2].

فهي إذن إزالة الحدود التي تعزل الناس عن بعضهم البعض، وتصحيح اختلال التوازن في المجتمع بواسطة عدد من أشكال المقاومة أو اللامبالاة، ضد التفرقة على أساس العرق والجنس وغيرهما من العوامل[3].

بدأت الحركة النسوية تنتشر في الفكر الغربي في القرن التاسع عشر، حيث صيغ مصطلح النسوية Féminism لأول مرة عام 1895 ليعبر عن تيار تتقاسمه اتجاهات عدة ويتشعب إلى فروع كثيرة.

على المستوى الرسمي أسس الكونغرس الأمريكي سنة 1920 أول هيئة فيدرالية من نوعها وهو المكتب الأمريكي للنساء العاملات كنتيجة للتطور الطبيعي لمكانة النساء العاملات، وقد أسندت لهذا المكتب عند تأسيسه مهمة مساعدة الهيئات الرسمية في إعداد سياسات لتشجيع النساء العاملات بأجر مكتسب، وتحسين ظروف العمل ومضاعفة كفاءتهن، وكذا زيادة فرص الحصول على عمل مربح.

لقد اتفق عدد من الباحثين على تقسيم مراحل تطور النسوية بحسب تتالي الأحداث وتراكم الإنجازات، والتدرج في تحقيقها، فاختصروها في ثلاث موجات:

01- الموجة النسوية الأولى

كانت غاية النسوية في موجتها الأولى هي نيل المرأة بعضا من الحقوق العامة التي يتمتع بها الرجل، لذلك دأبت على تأكيد المساواة بين الجنسين، وأن الفوارق النوعية للمرأة هامشية لا تجعلها أقل مرتبة من الرجل ولا تحول دون تلقيها العلم وممارسة العمل والحياة السياسية والتصرف في أموالها مثل الرجل.

بدأت هذه المرحلة بصدور كتاب ماري ولستونكروفت "دفاعا عن حقوق المرأة" سنة 1792م والذي يمثل. في إطار إرهاصات الفكر التنويري. علامة دالة على انبثاق أولى موجات

النضال النسوي الحديث، فقد وردت فيه إشارات ذات دلالة، على بدء الدعوة إلى مشاركة المرأة في الحياة السياسية، حيث أشارت المؤلفة إلى أن "المرأة في المستقبل قد تصبح طبيبة وصاحبة أعمال تجارية أو قد تدرس السياسة ثم تخطت المؤلفة هذه الإشارة؛ إذ قدمت مقترحا مثيرا يقول إن المرأة يجب أن يكون لها من يمثلها، بدلا من أن تكون محكومة على نحو تعسفي دون السماح لها بأية مشاركة مباشرة في مداولات الحكم"[4].

استقبل هذا الكتاب بحماس في بداية الأمر، إلا أنه تراجع مع صدور مذكرات زوج الكاتبة التي فصّل فيها حياتها غير الأخلاقية، ثم تراجعت مبيعاته وتوقف طبعه لهذا السبب[5]. حتى أن الفيلسوف توماس تيلور رد عليها ساخرا في كتابه "دفاعا عن حقوق البهائم"، وتساءل فيه، متهكما على الحجج التي أوردتها، إن كان من الممكن المضي بفرضياتها خطوة أخرى وتطبيقها على الحيوان، ويقول لماذا لا تطبق هذه الحجج بنحو متساو على الكلاب والقطط والأحصنة؟ ما دامت تبدو أنها تنطبق تماما على البهائم بشكل متساو[6].

02- الموجة النسوية الثانية

بعد الهجوم والرد العنيف الذي قوبلت به الكتابات الأولى الداعية للمساواة في إطار الموجة النسوية الأولى، توقفت تلك الجهود قرابة خمسين سنة وعادت للظهور من جديد في صورة هجمة نسوية مضادة لا تدعو فقط للمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة بل إلى مسألة أعمق وأعقد وهي تحرير المرأة، حيث شهدت هذه المرحلة وعيا نسويا راديكاليا، نشأ نتيجة التغيرات الاجتماعية والسياسية.

لقد تميزت هذه المرحلة بالعمل على تحقيق الهدف جماعيا وليس فقط عبر الكتابات الفردية كما تم الحديث عنه في الموجة الأولى، ولأنها راديكالية فقد انقسمت إلى تيارين في أمريكا، حيث ظهرت تكوينات مجتمعية تتبنى هذا المطلب ومنها المنظمة الوطنية للمرأة، كرد مباشر على فشل اللجنة الأمريكية لتكافؤ الفرص في مجال التوظيف، والتعامل مع مسألة التمييز على أساس الجنس، وقد تبنت هذه المنظمة أهداف التيار الليبرالي الذي يدعو للمساواة في الحقوق، وفي المقابل نشأت حركة الحقوق المدنية والحركة الطلابية والحركة المناهضة لحرب فيتنام في الستينيات[7].

أما في بريطانيا فقد ظهرت تباشير الموجة الثانية بظهور جماعات المساواة في الحقوق ولكنها لم ترتبط بأي منظمة مهنية نسائية وإنما بنضال عمال الصناعة ونساء الطبقة العاملة.

تميزت هذه الموجة بنشر المفاهيم النسوية جماهيريا وبالتالي التأسيس لبروز حقل الدراسات النسائية في المؤسسات الأكاديمية والجامعات الأمريكية.

وعلى الرغم من ارتباط ذروة ازدهار الأفكار النسوية بصدور كتاب كيت ميليت عن السياسات الجنسية (Kate Millett, Sexual Politics 1970)، إلا أن العديد من الأفكار تعود أصولها إلى كتاب سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir عن الجنس الثاني* (The Second Sex 1949) وكتاب بيتي فريدان Betty Friedan عن الغموض الأنثوي (The Feminine Mystique 1963)، ففي كتابيهما، تعقد الكاتبتين مقارنات بين مكانة الأمريكيات والأوروبيات وبين الأعراق والثقافات المقهورة.

03- الموجة النسوية الثالثة

عاصرت هذه الموجة ازدهار التعددية والابتعاد عن الأيديولوجية، وتعود جذورها إلى منتصف الثمانينات من القرن العشرين حينما دعت الناشطات النسويات إلى شخصية جديدة للنسوية. وقد تم التركيز على التقاطع بين العرق والنوع الاجتماعي، وهذا ما أدى إلى تزايد نسبة عدد الناشطات النسويات الملونات والآسيويات، كما تزايد عدد السياسيين من الأقليات الذين يتبنون خطاب نسوي جديد يركز على جذب الشابات من النساء[8].

من أهم نقاط الخلاف الأخرى مع الموجات النسوية السابقة ميل هذا التيار إلى الشك في الأفكار التي تضع الرجل والمرأة في فئتين منفصلتين ومتضادتين. كما يتبنى هذا التيار مبدأ الميل إلى الجنس الآخر ويحاول وضع مجموعة من الأولويات التي يكون فيها للرجل مكان كعاشق وزوج وأب وصديق[9]. مع التأكيد على أن المرأة والرجل مختلفين حقا وأن الحصول على الحقوق الكاملة لا يعني التشابه بين الجنسين إطلاقا.

في عام 1970 نشرت جيرمين جرير كتاب "تجريد المرأة من الأنوثة" والذي أصبح من النصوص المؤسسة للموجة الثانية، وفي 1999 نشرت كتابا آخر على نفس المنوال بعنوان "المرأة الكاملة" والذي أثار مرة أخرى جدلا جديدا. وتوضح جرير في المقدمة، أنها كتبت هذا الكتاب كرد فعل على إيديولوجية ما بعد النسوية فتقول "يقال لنا إن المستقبل مؤنث وقد حققت النسوية الغرض منها ويجب أن تتوقف الآن، المرأة في تيار النسوية لها شعر طويل وترتدي زيا خشنا وأقراطا مدلاة، أما المرأة في ما بعد النسوية فترتدي حلة عالم الأعمال وترفع شعرها وتستخدم قلم أحمر الشفاه، أما المرحلة التالية لما بعد النسوية فتتسم بطبيعة داعرة بصورة استعراضية وبسلوك غير منضبط"[10].

انطلاقا مما قالته جيرمين جرير* يمكن الاستنتاج بأن ما دعت إليه النسوية في موجتها الثالثة يتجاوز المطالب التقليدية في الحصول على الحقوق والمساواة، بل حتى تلك الدعوات لتحرير المرأة لا معنى لها أمام هذا التيار الجارف الذي يدعو إلى جعل المرأة سلعة. حيث تؤكد جرير بأن المرأة "تستطيع أن تحصل على كل شيء، الوظيفة والأمومة والجمال والحياة الجنسية والمتعة"[11].

وهذا دليل واضح بأن ما بعد النسوية التي كان يروج لها الإعلام الغربي وصلت إلى طريق مسدود بعد أن أصبح أحد رموزها فرقة سبايس غيرلز والمغنية الشهيرة مادونا.

وقد تراجعت بعض النسويات عن هذا القول، وحاولن تصحيح المسار بانتهاج حل وسط، مما أدى إلى حدوث انقسام داخل الحركة النسوية، حمل تباشيره كتابان، أحدهما بعنوان "تعليم الآخر" Educating the Other، لمؤلفته كاري بيشتر Carries Peachter، وكتاب "الرد على الانتقاد" لصاحبه سو وليسSue Willis، تضمن فكرة جديدة حول مفهوم النوع الاجتماعي، وخلاصة قولهن هو أن فكرة النمط الجنسي أو النوع الاجتماعي لا يتضمن خطأ في ذاته إذا ما راعى المجتمع النساء مراعاة خاصة.

لكن هذا الرأي يتضارب مع رأي الحركات النسوية التقليدية، مع أن كليهما يتفقان في القول بالنمطية الجنسية، ويفترقان في أن أحدهما يطلق عليه نسويات المساواة والآخر نسويات التحرر، فالتيار الأول يشمل الحركة النسوية التقليدية التي تمتلك النفوذ الأقوى في أمريكا وأستراليا وبريطانيا على الحكومة والإصلاحات التعليمية يؤمن أنه لا فرق البتة بين الرجال والنساء، وبالتالي فإن النساء قادرات على التنافس في كافة ميادين الحياة، والقول بالنمطية الجنسية يعد خطأ كبيرا لأنه يؤدي إلى فرض اختيارات سلبية على البنات والنساء[12].

أما الرأي الثاني الجديد فيتضمن اعترافا بوجود الفروقات بين الرجال والنساء، ويصرح بأن القول بالنمطية الجنسية ليس خطأ.

ثانيا: النسوية بين النظريات التقليدية والحديثة

ينظر البعض إلى النسوية بشكل عشوائي على أنها أبعد من أن يطلق عليها نظرية، فهي بالنسبة لهم مجرد خليط عشوائي لمجموعة انتقادات تنظيرية تجد صعوبة في تقديم تحليل نظري لدونية المرأة، وعلى النقيض من ذلك يرى البعض الآخر أن النسوية ليست نظرية

واحدة وإنما هي عدة نظريات وتيارات كل منها يتناول قضية المرأة من زاوية معينة وهذا هو الرأي الأقرب للصواب، حيث تتلخص الاختلافات داخل هذه المدرسة في اتجاهين[13]:

أحدهما يرتبط بتأييد حق المرأة القائم على التشابه ويركز على أن المرأة إنسان تماما كالرجل ولذلك لا بد أن تعطى الحقوق نفسها، والاتجاه الآخر يقوم على الاختلاف ويقول بأن النساء يختلفن عن الرجال، ولذلك لابد أن يعطى لهن الحق بتمثيل وتقديم أنفسهن.

وقد ظهرت تصنيفات متعددة للنسوية على امتداد تاريخها، نظرا لعدم اتفاق المنظرين لها على فلسفة واحدة، ففي بداية القرن الماضي صنفت إلى نسوية برجوازية في مقابل نسوية الطبقة العاملة، ثم إلى نسوية قديمة ونسوية حديثة، ونسوية اشتراكية مقابل نسوية ليبرالية.

غير أن أكثر التصنيفات شيوعا هو ذلك الذي ظهر في الموجة النسوية الثانية والذي يقسمها إلى نسويات ليبراليات ونسويات اشتراكيات ونسويات راديكاليات[14].

الاتجاه النسوي الليبرالي: يعتبر أفضل المداخل لمعرفة أفكار النسوية وأسسها، إذ يؤكد بأن المجتمع يتجه نحو الاعتقاد والإيمان بأن قدرة النساء العقلية والجسدية. بحكم طبيعتهن . أقل من قدرة الرجل ولذلك تم عزل النساء عن الأجواء الأكاديمية والاقتصادية والحياة العامة، ويرى الليبراليون أنه إذا قدمت للنساء والرجال فرص واحدة في التعليم والحقوق المدنية، فمن الطبيعي أن يتقدم النساء والرجال بالمقدار عينه، كما يرون بأن المجتمع البطريركي* يقوم على الاعتقاد بأن الدور الملائم للنساء هو ممارسة مجموعة من المهن المحدودة والمحددة مثل التعليم والتمريض والأعمال الإدارية. ويظهر في الكتابات الحديثة للنسويات الليبراليات اتجاه جديد وهو الاتجاه نحو المفاهيم التي ترفض النزوع إلى تقدير الشخص بناء على جنسه[15].

وباختصار، يمكننا تلخيص نموذج النسوية الليبرالية بأنه يهتم بتحقيق المساواة بين الرجال والنساء وخاصة في الحياة العامة. ولا توجد لدى رواده تحديات رئيسية لتفكيك النظام الاقتصادي والاجتماعي وإعادة صياغة رؤيته وهي كذلك لا تتحدى بشكل مباشر الهياكل التأسيسية للأنظمة الاقتصادية القائمة ولا السياسية ولا التشريعية.

الاتجاه النسوي الماركسي: يرى الاتجاه النسوي الماركسي أنه من المستحيل لأي كان . لاسيما النساء . أن يحصل على فرص متعادلة حقيقية في مجتمع طبقي، حيث توفر الموارد من

قبل الكم المستضعف، ويحصد نتاجها أو تنتهي إلى يد القلة القوية، ولذلك يرى هذا الاتجاه أن اضطهاد المرأة متمثل ومتأصل في قانون الملكية الفردية[16].

فالطبقة في نظر الاشتراكيين كفيلة بأن تجنب المرأة الكثير من معاناتها، حيث لا توجد هناك طبقة خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال وهذا أحد أوجه المساواة الأكيدة عند هؤلاء.

وعلى الرغم من الارتباط الفكري بين النسويات الاشتراكيات والنسويات الماركسيات، إلا أن هناك على الأقل اختلافا رئيسيا حول التقسيم الجنسي والطبقة بوصفه نتاج للنظام السياسي والاقتصادي وليس سلوكا فرديا، فالنقطة الأساسية للماركسيات هي وضع المرأة في سوق العمل، حيث أن عمل المرأة هو المحدد لفكرها وهنا تختلف النسويات الماركسيات في تعاطيها مع قضايا المرأة عن باقي التيارات، لاسيما تلك القضايا المتعلقة بالإنجاب ومنع الحمل والإجهاض والإباحية وغيرها فكلها قضايا غير ذات أهمية مقارنة بقضايا العمل[17].

الاتجاه النسوي الراديكالي: يهدف هذا التيار إلى التعويض عن بعض النواقص الواردة في النسوية الليبرالية والنسوية الماركسية من خلال التأكيد على الطابع العام والعابر للمناطق والثقافات، المستقل عن الطبقات، للتمييز ضد النساء. ويعتبر أنصاره أن البطريركية بحد ذاتها هي أساس هذا التمييز ضد النساء والسيطرة عليهن في كل ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجنسية[18].

الاتجاه النسوي الوجودي: يرتكز هذا الاتجاه بصفة شبه كلية على أفكار سيمون دي بوفوار لاسيما تلك الواردة في كتابها "الجنس الثاني"، حيث ترى "بأن الرجل ومنذ القديم سمى نفسه "بالذات" والمرأة "بالآخر"، ومن ثم إذا كان في الآخر تهديد للذات فالمرأة تهديد للرجل وإذا أراد الرجل أن يضل حرا يجب عليه إخضاع المرأة له وهذا لا يعني بالتأكيد أن المرأة هي الآخر الوحيد الذي يعيش الاضطهاد"[19]. وهي إشارة إلى الجماعات الأخرى التي يشابه وضعها وضع النساء والتي هي أيضا في أمس الحاجة للتمكين، مثل السود الذين يعرفون الاضطهاد من قِبل البيض، والفقراء الذين يعرفون الاضطهاد من قِبل الأغنياء.

وينتقد الاتجاه السلوكي عدم قدرة الاتجاهات النظرية والفلسفية سواء منها البيولوجية أو السيكولوجية أو الماركسية على تفسير لماذا المرأة وليس الرجل هو "الآخر"؟ رغم أهمية التحليلات التي قدموها حول اضطهاد المرأة[20].

هناك تيارات نسوية أخرى لم يكن لها ذات التأثير في تطور الحركة النسوية منذ بروزها في القرن الثامن عشر، على غرار نسويات الاتجاه الوظيفي الذي يرى أحد رواده وهو تالكوت بارسونز أن "الرجل مختص بالأدوار الوسيلية، وهي التي تربط الأسرة بالعالم الخارجي،

ويعمل على استمرارها كوحدة، أما المرأة فهي تختص بالأدوار المعبرة، ويرجع بارسونز ذلك إلى العامل البيولوجي لأن عملية الإنجاب والرضاعة هي عمليات خاصة ولصيقة بالمرأة، كما أن طبيعة هذه الأدوار تجعل المرأة مسؤولة عن تحقيق الثبات والاستقرار الداخلي للأسرة والعناية بالأطفال وتوفير النواحي العاطفية لزوجها"[22].

كذلك ذهب رواد مدرسة فرانكفورت النقدية أبعد من ذلك لاسيما الاتجاه الماركسي الجديد الذي أرجع تدهور أحوال المرأة في البلدان النامية إلى تبعية هذه الدول الاقتصادية لبلدان المركز، كما أن ما يسمى نسويات مابعد الحداثة الفرنسيات في أغلبهن قد جعلن من أفكار سيمون دي بوفوار شعارا لهن لاسيما ذلك السؤال المحير: لماذا المرأة جنس ثان؟ ولماذا هي الآخر؟ وتتقاطع أفكار هذه الجماعة مع مفكري ما بعد الحداثة أمثال لاكان ودريدا، وقد حاولن "وضع المرأة في مكانة أعلى من الرجل والأنوثة في مكان أعلى من الذكورة"[23].

كما كانت لفرويد آراء ضمن أفكار الاتجاه التحليلي النفسي لم يكن لها الأثر الكبير في تطور النسوية، حيث لقيت انتقادات شديدة من قبل علماء النفس والاجتماع الذين رفضوا الافتراضات التي جاءت بها حول التمييز بين الرجل والمرأة على أساس أن المرأة كائن بيولوجي وليس إنساني مؤكدين أن المعطيات البيولوجية لا يمكن الاعتماد عليها لتفسير الظواهر الاجتماعية.

ثالثا: مفهوم النوع الاجتماعي وأثره في تحول النظرة للمرأة

تشير كلمة النوع الاجتماعي إلى الخصائص والسلوكيات والصفات الشخصية والتوقعات المرتبطة بالجنس البيولوجي (الحيوي) للشخص في ثقافة معينة. وقد ظهرت الأبحاث حول النوع الاجتماعي بشكل تدريجي لتوضح وجود تباينات في توزيع القوة على الأنواع البيولوجية ولدراسة الدور الثقافي والتقليدي والمهمات والأدوار الوظيفية والصور النمطية للرجال والنساء.

لقد ركزت دراسات النوع الاجتماعي بداية بما أصبح يعرف بـ "الدمج على أساس النوع الاجتماعي "Gender Mainstreaming وهي الاستراتيجية الأكثر قبولا على المستوى العالمي لتعزيز المساواة على أساس النوع الاجتماعي، حيث تحول هذا المفهوم من هدف إلى عملية تتطلب أن تكون محور جميع الأنشطة المطلوبة في هذا المجال والتي تشمل تطوير السياسات وإجراء الأبحاث واستقطاب التأييد والدعم وإيجاد الحوار والتشريعات وتخصيص وتوزيع الموارد والتخطيط وتنفيذ البرامج والمشاريع ومراقبتها[24].

1ـ تعريف النوع الاجتماعي

هناك اختلاف كبير بين مختلف الكتاب باللغة العربية المهتمين بقضايا المرأة في نقل كلمة Gender من اللغة الأم وهي الانجليزية إلى اللغة العربية، فهناك من نقلها كما هي وأعاد كتابتها بالأحرف العربية، وهناك من ترجمها إلى "الجنوسة" وآخرون إلى "الجنسانية"، "الجندر"، "الجندرة"، بينما استقر أغلبهم على مصطلح "النوع الاجتماعي" قياسا على النوع البيولوجي الذي يشير إلى الجنس البشري أو الحيواني أو النباتي، بينما النوع الاجتماعي هو التعبير الذي يشير إلى كل من الرجل والمرأة.

يعرف النوع الاجتماعي على أنه "مفهوم يشير إلى الأدوار الاجتماعية المختلفة للنساء والرجال وإلى السلوكيات التي يكتسبها هؤلاء النساء والرجال من المجتمع، وكذلك إلى ما هو متوقع منهم في إطار البيئة المجتمعية التي ينتمون إليها، وعادة ما ينظر إلى الأدوار المختلفة للنساء والرجال داخل المجتمع وما يرتبط بها من سلوكيات متوقعة على أنها أمر طبيعي لأنه ينتج عن قدرات وسمات مكتسبة من الطبيعة"[25].

يعرفه البنك الدولي على أنه السلوكيات والتوقعات المرتبطة بالإناث والذكور التي ينشؤها المجتمع ويتعلمها. وتحيل كل الثقافات الفوارق البيولوجية بين الإناث والذكور إلى مجموعة من التوقعات الاجتماعية حول السلوكيات والنشاطات التي تعتبر ملائمة، وحول الحقوق والموارد ومواطن القوة التي يجب أن يمتلكها الذكور والإناث. والنوع الاجتماعي كالعِرق واللون والطبقة، هو فئة اجتماعية تقرر إلى حد كبير فرص الإنسان في الحياة وتحدد مشاركته في المجتمع والاقتصاد[26].

أما صندوق الأمم المتحدة للمرأة فيعرفه على أنه "عملية دراسة العلاقات المتداخلة بين الرجل والمرأة في المجتمع، تحدد هذه العلاقات وتحكمها عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وبيئية عن طريق تأثيرها على قيمة العمل في الأدوار الإنجابية والإنتاجية والتنظيمية التي يقوم بها الرجل والمرأة معا"[27].

ويذهب بعض الكتاب مثل جادلت بتلر إلى إعطاء المفهوم أبعادا فلسفية حيث تعرفه على أنه هوية يتم تكوينها على نحو غامض في سياق الزمن، وأنها "شكل رمزي من العمل العلني الذي يسمح تكرار حدوثه بالاعتراف بنا بوصفنا ذواتا راغبة ومرغوبة"[28].

ولأن الفكرة كانت مثيرة للغاية فقد شقت لنفسها مسارات عبر كل الاتجاهات، فانتقلت بين الدول والقارات وتلقفتها الحركات النسوية وسعت إلى تعميمها وسايرها في ذلك عدد من تكوينات المجتمع المدني العالمي وبعض المؤسسات المالية الدولية، وهكذا لقيت الفكرة معارضة شديدة من المحافظين ومساندة واضحة من دعاة تحرر المرأة.

وقد دخل مفهوم الجندر إلى المجتمعات العربية والإسلامية مع وثيقة مؤتمر القاهرة للسكان عام 1994، إذ أنه ذكر في (51) موضعا من هذه الوثيقة، منها ما جاء في الفقرة التاسعة عشرة من المادة الرابعة من نص الإعلان الذي يدعو إلى تحطيم كل التفرقة الجندرية. ولم يثر المصطلح أحدا، لأنه ترجم بالعربية إلى (الذكر/الأنثى)، ومن ثم لم يُنتبه إليه. ثم ظهر المفهوم مرة أخرى ولكن بشكل أوضح في وثيقة المؤتمر العالمي للمرأة ببكين سنة 1995، حيث تكرر مصطلح الجندر (233) مرة[29].

وبالتوازي مع هذا الانتشار الواسع اختلفت تعريفات كل هذه الأطراف للهوية الجندرية "Gender Identity"، إذ تعرفها الموسوعة بأنها شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، وهي "ليست ثابتة بالولادة (ذكر أو أنثى) بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية، وهي تتغير وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل"[30].

ويعرف المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة مفهوم ومنهج "الدمج القائم على أساس النوع الاجتماعي" Gender Mainstreaming بأنه: "عملية تقييم لمحتويات الأفعال المخطط لها والمتعلقة بالمرأة والرجل، بما في ذلك التشريعات أو السياسات أو البرامج في أي من المجالات وعلى جميع المستويات"[31].

2ـ أدوار النوع الاجتماعي

يهتم النوع الاجتماعي بدراسة العلاقة المتداخلة بين الرجل والمرأة في المجتمع والتي ترتكز على ثلاثة عوامل رئيسية هي: معرفة وتحليل اختلاف العلاقات مابين النوعين، وتحديد أسباب وأشكال عدم التوازن في العلاقة بينهما، وتعديلها وتطويرها، حتى يتم من خلال ذلك توفير العدالة بينهما. ليس فقط بين الرجل والمرأة ولكن بين أفراد المجتمع جميعا.

ولأن صفات الإنسان تتغير وأنشطته أيضا، فإن أدواره أيضا تتبدل، فقد تحطمت الحواجز بين الجنسين عبر الوقت، "نتيجة تبدل الأدوار والأفعال التي يقوم بها كلا من الجنسين. فمثلما أصبحت المرأة تعمل في المصنع الذي كان حكرا على الرجل في الماضي، فإن الرجل التزم البيت ليربي الأطفال مكان المرأة في بعض الحالات، كل ذلك دفع الكثيرين إلى الإيمان بأن النوع هو مفهوم اجتماعي متغير، يؤدي إلى تكوين الإنسان من خلال الأنشطة التي يقوم بها"[32].

من هذا المنطلق يمكن تعريف أدوار النوع الاجتماعي بأنها "الأدوار التي يحددها المجتمع وثقافته لكل من النساء والرجال على أساس قيم وضوابط وتصورات المجتمع لطبيعة كل من

الرجل والمرأة، الذكر والأنثى، وقدراتهما واستعدادهما وما يليق بكل واحد منهما حسب توقعات المجتمع"[33].

يمكن إيجاز أدوار النوع الاجتماعي في أربعة أنواع قابلة لإضافة أنواع أخرى حسب المجتمعات وتغلغل فكرة أدوار الرجل والمرأة بها وهي خاضعة بحسب طبيعتها لثقافة المجتمع وتعاليمه الدينية وظروفه الاقتصادية والاجتماعية:

أ- توزيع العمل حسب النوع الاجتماعي: يشير إلى تقسيم العمل بين النساء والرجال في المجتمع على أساس التصورات ونظم القيم السائدة عن كل واحد منهم في الأسرة والمؤسسات المجتمعية الأخرى (المدرسة، وسائل الإعلام)، وتستعمل كل المجتمعات البشرية وسيلة التوزيع هذه كمبدأ لتنظيمها.

ويعترف النسويون بأن التحدي الذي يواجههم في هذا المجال هو نتيجتين منطقيتين أساسيتين لتقسيم العمل وفق منظور النوع الاجتماعي، الأولى أن الأمر يعد طبيعيا، والثانية أن تقسيم العمل يتم على أساس أن الرجال هم المعيلين للأسرة والنساء يحتفظن بوظيفة العمل بالبيت[34]. وهذا التقسيم ينبني على فهم مختلف لكنه عادل، وهذا ما أقنعهم بأنه لا يوجد تفسير للتقسيم الاجتماعي للعمل غير وظيفة إنجاب الأولاد لدى المرأة.

ويزداد هذا الوضع حدة وصرامة في المجتمعات العربية، حيث يعترف للمرأة بدورها الأسري فقط أي بدورها كزوجة وأم وربة بيت، ويتم تجاهل ما تقوم به من أعمال إنتاجية داخل البيت وخارجه.

بل وحتى بالنسبة إلى الرجل، فانه إذا أراد أن يخرج عن الحقل المحدد له على أساس دوره الإنتاجي في مقر العمل (خارج البيت) وعن مهمته الأساسية التي تكمن في كسب العيش والإنفاق على الأسرة، فان إسهامه، مهما كان، سوف يقلل من قيمته كرجل ولا تعطى أية أهمية لما يأتي به من أعمال كمساعدة الزوجة في البيت أو تأدية أي عمل يعتبر من طرف المجتمع عملا نسائيا.

ب- دور المرأة الإنتاجي: تشمل الأعمال الإنتاجية للمرأة الأعمال المرتبطة بدورها الأسري، وكذلك تلك المرتبطة بمجال الزراعة كالعناية بالمواشي والدواجن وخدمة الأرض. كما تشمل أيضا مساعدة أفراد الأسرة من الرجال في الحرف والصناعات التقليدية.

ج- دور المرأة المجتمعي: مع مرور الوقت بدأت أدوار الرجال والنساء تتداخل فيما بينها حيث اقتحمت المرأة أغلب الميادين التي كانت حكرا على الرجال، وتحول الكثير من الرجال

إلى القيام بأعمال كانت إلى وقت قريب من اختصاص النساء كتربية الأطفال والقيام ببعض الأشغال المنزلية وغيرها.

د- دور المرأة الإنجابي: يمثل الإنجاب "والإنجابية" الدور الرئيسي للغالبية العظمى من النساء العربيات ويشمل بصفة عامة الحمل والولادة وإرضاع الأطفال وحضانتهم وتربيتهم إضافة إلى المهام الأخرى التي تسند للمرأة والتي لا تهدف فقط للإنجاب البيولوجي لقوى العمل بما فيها المستقبلية أيضا وإنما رعايتها أيضا (الزوج والأطفال العاملين). ويقصد بالدور الرئيسي الدور الوحيد المعترف به للمرأة من طرف المجتمع وموقف تقييم تأديتها لهذا الدور[35].

خاتمة

لقد أثرت النسوية على امتداد أكثر من مئة سنة علم السياسة بكثير من الأفكار وسايرت التيارات المعرفية المختلفة، كما أن الجدل المثار حول قضاياها منح الفرصة لبروز كتابات عديدة تقاسمت التوجهات الكبرى لهذه النزعة، وبذلك فإنها لم تتعارض يوما مع الأطر المنهجية التي تضبط علم السياسة بل تماهت معها وولدت تيارات فرعية وتوجهات بحثية اصطلح على تسميتها بالدراسات النسوية، التي تنتشر بوتيرة متزايدة في الجامعات الغربية وحتى الشرقية.

ولم تستقر بوصلة النسوية في أصولها المنتبثقة من علمي السياسة والاجتماع عند حقل معرفي معين بل طافت بعدة تخصصات على غرار علمي النفس والقانون، إلا أن تجلياتها الحديثة لم تكن بذلك الوهج التاريخي الذي أحدث طفرة في الدراسات المهتمة بقضايا المرأة، ومن تلك التجليات ظاهر "فيمن" التي انتشرت عبر عديد الدول واختزلت نضال النساء طيلة عقود من الزمن في حركات تعري يمجها الشارع ولقيت مقاومة عنيفة على أكثر من صعيد.

الهوامش:

1- أحمد الشامي: مترجما، النسوية وما بعد النسوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص. 22.

2 - Gwendolyn S.O'neal: Am I a Feminist? "Reflections On Feminism in Teaching and Research", clothing and textiles research journal, 18, (2000), p 157.

3 – Idem . Barbara Burrel: Women and Political Participation, ABC-CLIO Inc, United States of America, 2004, p.53.

4 - أحمد الشامي، المرجع السابق، ص 40.

5 - المرجع نفسه، ص41.

6 - أسعد شيراز أبو رزيزة، "دهس مواطن نملة فأرداها.. هل نعاقبه؟"، جريدة الوطن السعودية، 09 جويلية 2009.

7 - أحمد الشامي، المرجع نفسه، ص ص 57- 58.

* أصبحت مقولة سيمون دي بوفوار الشهيرة: "المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة"، شعارا لمختلف الحركات النسوية على امتداد نضالها ضد ما تسميها سيطرة الرجل.

8- هالة كمال مترجمة: موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، 2006، ص571.

9 - ناهد بدوية: " النسوية الثالثة التعددية والاختلاف وتغيير العالم"

10 <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=165211>، تاريخ التصفح: جويلية 2013.

10 - الموقع الإلكتروني نفسه.

11 - أحمد الشامي، المرجع السابق، ص 87.

* جرمين جرير كاتبة أسترالية مشهورة بكتابها الشهير (الأنثى المخصية) الصادر سنة 1970، وفيه شنت حملة شعواء على الذكور والذكورية، ودعت إلى الاكتفاء الذاتي للمرأة. وكانت جرمين جرير امرأة سحاقية (تميل إلى بنات جنسها) وهو العنصر الجديد الذي دخل حركة تحرر المرأة.

12 - أحمد الشامي، المرجع السابق، ص 87.

13 - إي دي جي ولكنسن: " قراءة في كتاب سوء تعليم النساء "، موقع مجلة المعرفة، <http://www.almarefh.org/news.php?action=show&id=967>، تاريخ التصفح: 09 سبتمبر 2013.

14 - الموقع الإلكتروني نفسه.

15 - نورة فرج المساعد: " النسوية فكرها واتجاهاتها"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية 71 (صيف 2000)، ص10.

16- أيمن بكر وسمر الشيشكلي، مترجمين: النسوية والمواطنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص ص. 59- 60.

* هى الثقافة التي تسند فيها المسؤوليات الأساسية للأب لتحقيق رعاية ورفاهية الأسرة. والـ Patriarch هو الرجل ذو التأثير العظيم على الأسرة أو المجتمع. والكلمة لقب لرجال الدين المسيحي في أكثر من مذهب وتطلق أحيانا على البابا الأكبر ويقابلها في العربية كلمة (بطريق) وتجمع على بطارقة وهى مقابل كلمة أسباط أي (أسباط بني إسرائيل) وتطلق في الديانة اليهودية على الأنبياء إبراهيم ويعقوب واسحق، ونقيض الأبوية هي الثقافة الأمومية أي Matriarchy وهى في المعنى نقيض الأبوية وتعنى

المجتمعات التي تسيطر فيها النساء. يقوم مفهوم البطريركية على إبراز الاختلافات البيولوجية بين الرجال والنساء وتعظيمها من أجل ضمان أن تكون الأدوار الذكورية والمسيطرة من نصيب الرجل، والأدوار الأنثوية المستبعدة من نصيب المرأة، وحتى تضمن البطريركية هذه المكانة العليا تقوم بالسيطرة على المؤسسات الاجتماعية والثقافية الأساسية في المجتمع، كالأسرة والمدرسة ، وتقوم هذه بدورها بالتأكيد على تبعية المرأة للرجل والإحساس بالضعف والدونية تجاه الرجل. ويضل أسلوب الترهيب سمة من سمات البطريركية، إذ يجعل من المرأة العاقلة تلك التي تدرك وتفهم العلاقة أو ضرورة الربط بين الحياة والأنثوية. (أنظر: النسوية فكرها واتجاهاتها، المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد 71.)

17- نورة فرج المساعد، المرجع السابق، ص ص 12- 15.

18- جون بيليس وستيف سميث: عولمة السياسة العالمية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004، ص1009.

19 - نورة فرج المساعد، المرجع السابق، ص ص 18- 22.

20 - نادية ليلى عسلاوي: تيارات الحركة النسوية ومذاهبه، <http://coalitionofwomen.org/home/arabic/articles/feminism>تاريخ التصفح: 2013/07/12.

21 - نورة فرج المساعد، المرجع السابق، ص40.

22 – نفس المرجع والصفحة.

23 - هند عبد العزيز القاسمي: الثابت والمتغير في ثقافة المرأة في الإمارات، منشورات جمعية الاجتماعيين، الشارقة، 1998، ص 91.

24 - إلهام عبد الرحمن عثمان: نظريات علم الاجتماع والنوع، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2008، ص. 82.

25 - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا: تاريخ الحركات النسائية في العالم العربي منشورات مركز المرأة، بيروت، 2005، ص ص 88-92.

26 - عاطف عضيبات وروان فضايل بهو: "النوع الاجتماعي والتحول الديمقراطي في المنطقة العربية"، (ورقة مقدمة لورشة العمل الإقليمي حول النوع الاجتماعي والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، عمان الأردن 11- 13 مارس 2002)، ص 01.

27 - مصطفى كامل السيد: الحكم الرشيد والتنمية، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، 2006، ص 181.

28- البنك الدولي: النوع الاجتماعي والتنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا – المرأة في المجال العام، دار الساقي، بيروت، 2005، ص 23.

29 - أميمة أبو بكر وشيرين شكري: المرأة والجندر، إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002، ص 94.

30 - عدنان حسن: مترجما، الجنوسة (الجندر)، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، 2008، ص 36.

31 - شمخي جبر: "الجندر والمفاهيم الثقافية والوافدة"، جريدة الصباح العراقية، 11 مارس، 2009، صفحة المجتمع.

32 - مثنى أمين الكردستاني و كاميليا حلمي محمد: "الجندر، المنشأ، المدلول والأثر"، <http://iicwc.org/lagna/iicwc/iicwc.php?id=347>، تاريخ التصفح: 09 سبتمبر 2009.

33 - ندى جعفر: "مفهوم النوع الاجتماعي"، (ورقة مقدمة لورشة عمل النوع الاجتماعي ومسوح استخدام الوقت، عمّان، الأردن، 30 سبتمبر- 02 أكتوبر 2007)، ص 05.

34- قاسم بن محمد الدويكات: "الجغرافيا النسوية كأحد الاتجاهات الحديثة في البحث الجغرافي"، الكويت، مجلة العلوم الإنسانية 25 (2006)، ص ص. 75- 76.

35- نادية سلام محمد: تحليل كتب علوم الاجتماع للمرحلة الثانوية في ضوء مفهوم النوع الاجتماعي، منشورات جامعة عدن، اليمن، 2004، ص 63.